
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

الخصومة البلاغية والنقدية

في استعارة أبي تمام

للدكتور عبد الفتاح لاشين
الأستاذ المشارك بالكلية

تمهيد :

أبو تمام من الشعراء المجيدين الذين شغلوا النقاد والأدباء والشعراء واللغويين والبلاغيين ، وقلما وجد محفل من محافل الأدب لم يأخذ من هذه الحركة بنصيب ، شغل كل تلك الطوائف بشعره ، فقد فاجأهم بما لم يتوقعوا ، فبالغ في التعمق في المعاني ، والغوص على الفكرة ، وأكثر من صور البديع إلى درجة الإسراف ، وتجنب أحياناً عمود الشعر العربي الذي كان القدوة التي بها يقتدى ، وخرج طوراً على قواعد اللغة العربية نحوها وصرفها مما كان سبباً في إهمال الكثير من شعره ، بل أصبحت كتب البلاغة والنقد تعج بالشواهد التي عيبت ألفاظها ، واتفق العلماء على خروجها عن منهج الفصاحة وشروط القبول والاستجادة ،

وكان من نتيجة مذهبه هذا أن كثرت خصومه ، وانصبوا على مذهبه الجديد لوما وتقريعاً ، وسفّهتْ رأيه ، وازدرت مذهبه ، ودعاها الحجاج والخصومة إلى إنكار كل فضل ينسب إليه ، ورمته بالإسراف في الخطأ ، والسرقة في الشعر .

كما كان له أنصاره الذين فتنوا بجديده ، واستطرفوا بديعه ، وعدوه من قمة الفن الشعري ، وجعلوا مذهبه المذهب المثالي الذي يجب أن يحتذي ، وآمنت بفنه إيماناً لا يتزعزع .

على حين وقفت فئة موقف الحياد عندما رأت إسراف الطرفين ، وشطط الطائفتين .

وتلك المعارك والخصومات بين تلك الطوائف تعد من أخصب المعارك البلاغية والنقدية في تاريخ الشعر العربي .

والبحث بهذه الصورة واسع الآفاق كثير النواحي ، ونتجه إلى واحدة من هذه النواحي – ألا وهي الاستعارة في شعره – لدراسة ما قام حولها من خصومات دراسة منهجية عارضاً فكرة كل فريق ، شارحا وجهة نظر كل جانب ، مرجحاً ما نراه قابلاً للترجيح ، معتمداً على التحليل والموازنة ، مجتهدا في التفسير والاجتهاد ما وسعني الجهد .

مقاييس الاستعارة في الحسن وعدمه :

جعل البلاغيون والنقاد ميزان الاستعارة هو ميزان القدماء لها ، فما تعارفوا عليه وألفوه ، وما ورثناه عنهم ، هو المقياس الصحيح والميزان المقبول .

وتوصف الاستعارة بالجودة ، وتوسم بالقبح بقدر قربها أو بعدها من هذا المعيار ، فمثلاً ، قوله تعالى : «كتابٌ أنزلناه إليك لتُخْرِجَ الناس من الظلمات إلى النور» (إبراهيم ١) – نجد الاستعارة فيها في غاية السمو والعلو لهذا الانتقال السهل الميسور بين طرفي التشبيه (الكفر والظلمات ، والإسلام والنور) .

فالاستعارة تقوم على الموازنة ، وهي في ذلك كالتشبيه ، إلا أنها تمايز عنه ، فهي تعتمد على القياس والانتقال ، فنحن في التشبيه نواجه طرفين يجتمعان معاً ، بينما في الاستعارة نواجه أحد الطرفين يحل محل الآخر ، ويقوْم مقامه للاشتراك في صفة أو صفات .

وفي الاستعارة نكون أمام نوعين من المعنى : المعنى الحقيقي ، والمعنى المجازي ، وينبغي لنعرف المعنى المجازي للاستعارة أن تكون هناك علاقة واضحة تربط بين الطرفين ، وتكون كالعلامة الهادية التي تيسر الانتقال من حقيقة الكلمة إلى مجازها[1] .

والفارق بين لفظ «الاستعارة» وأصلها الحقيقي يكون من جهة التأثير فقط ، وليس له أية فاعلية في إيجاد المعنى ، فالاستعارة تؤدي نفس المعنى الذي تؤديه العبارة الحقيقية ، وليس من فارق إلا ما تؤديه الاستعارة من التأثير الحسن للاستعارة للمستمع ، والترجمة الجيدة للمعنى ، وإخراجه في معرض أخّاذ وجميل .

(١) البيان في ضوء أساليب القرآن ص ٢٢٤ ط دار المعارف — القاهرة .

وهذا الانتقال من المعنى الحقيقي للكلمة إلى المعنى المجازي لها لا يصح إلا إذا قام على علاقة وصلة تربط بين الطرفين ، وتجعل عملية الانتقال سهلة ميسرة ، وكلما كانت العلاقة التي تربط بين المستعار والمستعار له صحيحة عقلياً ، وكان المستعار قريباً من المستعار له ومشابها – كانت الاستعارة قريبة ومقبولة ، وإلا خرجت عن حدودها إلى الشناعة والهجنة ، والبعد عن الصواب .

يقول الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) في لجوئه إلى مذاهب العرب في التحكيم : « وإنما استعارت العرب المعنى لما هوله إذا كان يقاربه أو يناسبه ، أو يشبهه في بعض أحواله ، أوكان سبباً من أسبابه ، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له ، وملائمة لمعناه .

ثم يقول : « وعلى هذا جاءت الاستعارات في كتاب الله تعالى ، نحو قوله تعالى : « واشْتَعلَ الرأسُ شيباً » (مريم ٤) ، لما كان الشيب يأخذ في الرأس ، ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يحيله إلى غير حالته الأولى ، كان كالنار التي تشتعل في الجسم من الأجسام فتحيله إلى النقصان والاحتراق ..

ثم يذيل كلامه هذا بقوله :

« فهذا مجرى الاستعارات في كلام العرب »[1] .

والقاضي الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ) يضع القاعدة نفسها ، ويشدو على النغم عينه ، ويرجع جودتها أو قبحها إلى مذاهب العرب القدماء[2] .

كذلك فعل المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) فجعل مناسبة المستعار منه للمستعار له من صلب عمود الشعر ، ومعيار جودته[3] .

---

(١) الموازنة حـ ١/ ٢٥٠ .
(٢) انظر الوساطة ٢٧ .
(٣) انظر مقدمة شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام ٤ .

فالاستعارة الجيدة عند كل هؤلاء لا تكون إلا إذا حسن التشبيه ، وقربت المناسبة بين الطرفين ، وتلاحمت الصلات بين المستعار والمستعار له .

وعلى هذا سارت بواكير النقاد فيها تبعاً لما عرف عن الأقدمين ، وأثر عن السابقين .

ولما جاء الإمام عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) جلى تلك الفكرة ، وشرح حقيقة الصلة بين المستعار والمستعار له ، فقال في فصل عقده للفرق بين الاستعارة والتشبيه[١] : «ومما يجب أن تجعله على ذكر منك أبداً ، وفيه البيان الشافي ، أن بين القسمين تبايناً شديدا ، أعني بين قولك : «زيد أسد» ، وقولك : «رأيت أسداً» وهو ما قدمته لك من أنك قد تجد الشيء يصلح في نحو : «زيد أسد» حيث تذكر المشبه باسمه أولا ، ثم تجري اسم المشبه به عليه ، ولا يصلح في القسم الآخر الذي لا تذكر فيه المشبه أصلاً وتطرحه .

ومن الأمثلة البينة في ذلك قول أبي تمام :

وكـان المطـلُ في بـدءٍ وعَـود دخاناً للصنيعة وَهيَ نارُ[٢]

فقد شبه المطل بالدخان ، والصنيعة بالنار ، ولكنه صرح بذكر المشبه ، وأوقع المشبه به خبراً عنه ، وهو كلام مستقيم .

ولو سلكت به طريقة ما يسقط فيه ذكر المشبه ، فقلت مثلاً : «اقْبَستَني نارا لها دخان» كان ساقطاً ، ولو قلت : «أقبستني نورا أضاء أفقي به» - تريد علما - كان حسناً ، حسنه إذا قلت : «علمك نور في أفقي» .

والسبب في ذلك أن اطراح ذكر المشبه والاقتصار على المشبه به ، وتنزيله منزلته ، وإعطاءه الخلافة على المقصود ، إنما يصح إذا تقرر الشبه بين المقصود وبين ما تستعير اسمه له ، وتستبينه

---

(١) أسرار البلاغة ٢٨٩ .

(٢) المعنى : يتأذى بالمطل كما يتأذى بالدخان ، فكما أن المحمود من النار أن تخلص من الدخان ، كذلك المحمود من العطاء أن يخلص من المطل والتسويف .

في الدلالة ، وقد تقرر في العرف الشبه بين النور والظلمة ، وظهر واشتهر ، كما تقرر الشبه بين المرأة والظبية ، وبينها وبين الشمس ، ولم يتقرر في العرف شبه بين الصنيعة والنار ، وإنما شيء يضعه الآن أبو تمام ويتمحله ، ويعمل في تصويره ، فلا بد من ذكر المشبه والمشبه به جميعاً ، حتى يعقل عنه ما يريده ، ويبين الغرض الذي يقصده ، وإلا كان بمنزلة من يريد إعلام السامع أن عنده رجلاً هو مثل زيد في العلم ، فيقول له : عندي زيد ، ويسومه أن يعقل من كلامه أنه أراد أن يقول : «عندي رجل مثل زيد» أو غيره من المعاني ، وذلك تكليف علم الغيب» .

فالإمام عبد القاهر ، يرى أن اطراح المشبه والاقتصار على المشبه به ، واستعارة المشبه به للمشبه ، وتنزيله منزلته ، لا يصح ذلك في كل الحالات ، ولا يكفي أن تتلمّس لذلك أدنى الصلات وأقل قربى بين الطرفين ، كالصلة الواهية بين «الصنيعة والنار» ، وإنما تقبل الاستعارة وتحسن إذا تقرر الشبه ، ووضحت الصلة بين الطرفين ، كالصلة الوثيقة بين العلم والنور ، والمرأة والظبية ، والمرأة والشمس .

* * *

وفي ظل هذا المبدأ نظر البلاغيون والنقاد إلى استبعاد كل استعارة تتمرد على تلك الأسس ، فنجدهم يقبلون كل استعارة يظهر فيها التلاؤم بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي كالتلاؤم بين المرأة والظبية ، لأن التناسب بين طرفي التشبيه يؤدي إلى التناسب في الاستعارة ، إذ هي مبنية عليه ، كما نراهم يبرأون من كل استعارة فقدت هذا التلاؤم ، ويصفونها بالقبح والسماجة ، كقول المتنبي :

مـلكٌ يـنشـد الـقريضَ لـديه ... يضـع الـثوبَ في يـديْ بَـزّازِ

فهل يليق بالشاعر الذي يستعطف الممدوح ليرق له ، ويمنحه على مدحه بأن يجعله من بائعي الثياب ، وعارضي الأزياء ؟

وكذلك قوله :

شرفٌ يـنطح الـنجوم بقرنَيْه ... وعِـزٌّ يـقـلـقـل الأجـبـالا

فقد جعل للشرف قرناً ، وهذه استعارة قال عنها القدماء : إنها استعارة خبيثة[1] .

وخُلاصة القول :

أن حسن الاستعارة وميزان جودتها يكون بمقدار ما بين الطرفين من التقارب والتماثل ، وتصور الجمع بينهما في الذهن ، ليصور المشبه في صورة تحقق غرض القائل ، ولذلك كان الأدب المسمى بالرمزي بعيداً عن البلاغة ، لأن الألفاظ فيه تستعمل كثيراً في معان يصعب إدراك الصلة بينها وبين المعاني الأول لهذه الألفاظ .

والاستعارة في هذا تخالف التشبيه فإن التشبيه يأتي فيما ظهر وجهه ، وفيما خفي وبَعُد ، وكلما احتاج إدراك الوجه إلى إنعام الفكر وتدقيق النظر ، كان أغرب وأجود «متى وَجَدْتَ بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الأمر شبهاً صحيحاً معقولاً ، ووجدت للملائمة والتأليف السوي بينهما مذهباً وإليهما سبيلاً . فأما أن تستكره الوصف وتروم أن تصوره حيث لا يتصور فلا ، لأنك تكون في ذلك بمنزلة الصانع الأخرق يضع في تأليفه الشكل بين شكلين لا يلائمانه ولا يقبلانه ، حتى تخرج الصورة مضطربة ، وتجيء فيها نُتُوّ ، ويكون للعين عنها من تفاوتها نُبُوّ» .[2]

لكن الاستعارة بعكس ذلك ، يجب أن يكون الوجه فيها جلياً واضحاً ، وإلا صارت من قبيل الألغاز والأحاجي .

* * *

وعلى ضوء من هذه الموازين ، وعلى هدى من تلك المقاييس نناقش استعارة أبي تمام التي شغلت كثيراً من البلاغيين والنقاد ، وقد اشبعوه تقبيحاً وتسفيهاً لمفارقته ما تعارف عليه العرب حتى قال بعضهم تعقيباً على رديء استعاراته : «فإذا سمعت بقول أبي تمام .. فاسدد

---

(١) قصص العرب جـ ٣ /٣١٦ .
(٢) أسرار البلاغة ١٣٠ .

مسامعك ، واستَغْشِ ثيابك ، وإياك والإصغاء إليه ، واحذر الالتفات نحوه ، فإنه مما يصدىء القلب ويعميه ، ويطمس البصيرة ، ويكد القريحة »[1] .

وستعرض لبعض تلك الاستعارات التي احتدمت فيها الخصومة بين البلاغيين والنقاد ، لأنه خرج على الناس بنوع جديد من الشعر أخرجه من رأسه لا من قلبه ، فهو يغوص على المعاني العقلية غوصاً ، ويعمل فيها خياله البعيد ، وشأن كل جديد في كل عصر ومصر ، وفي كل علم وفن ، أن يثير جدالاً ، وأن يقسم الناس إلى معسكرين ، واحد ينصره ، وآخر يخذله ، وأن تشتد المنافسة بين الفريقين ، وكذلك كانت الحال في استعارة أبي تمام – وإليك البيان –

– ١ –

قال أبو تمام في بدء قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الضبي :[2]

لا تَسْقني مَاءَ المَلام فإنني صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائي

* * *

قال أبو بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ)[3] :

« وعابوا قول أبي تمام : لا تسقني ماء الملام ... البيت ، فقالوا : ما معنى « ماء الملام ؟ »

ثم رد عليهم فقال : وهم يقولون : كلام كثير الماء ، وما أكثر ماء شعر الأخطل ، قاله يونس بن حبيب[4] ، ويقولون : ماء الصبابة ، وماء الهوى ، يريدون الدمع ، قال ذو الرمة :

---

(١) الوساطة ٣٢ .

(٢) المعنى : لا تلمني فإنني عاشق قد ألفت البكاء واستعذبته فلا أكاد أقلع عنه للومك إياي ، فكُف عني ، والبيت بديوانه شرح التبريزي جـ١/٢٢ .

(٣) أخبار أبي تمام ٣٣ .

(٤) هو يونس بن حبيب البصري بارع في النحو من أصحاب عمرو بن العلاء (نزهة الألبا ٣٢ ، الفهرست ٤٢) .

أأنْ ترسّمتَ من خرقاءَ منزلةً   ماءُ الصَّبابة من عيْنَيك مسجومُ؟

وقال أيضاً :

أداراً بحزْوي هِجتِ للعين عَبْرَةً   فماءُ الهوى يـرْفَضّ أو يترقرقُ

وقال عبد الصمد – وهو محسن عند من يطعن على أبي تمام وغيرهم – :

أيُّ مـاءٍ لماء وجـهك يَـبْقى   بعد ذُل الهَوى وذُل السؤالِ؟

فصير لماء الوجه ماء .

وقالوا : ماء الشباب ، قال أبو العتاهية :

ظَبْـيٌ عليه من الملاحة حُلّةٌ   ماءُ الشباب يَجول في وَجنَاته

وهو من قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تَحيّر منها   في أديم الخدَّيْن ماءُ الشباب

وقال أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل :

أهيفُ ماءُ الشباب يرْعد في خدّيه   م – لولا أديمُه قَطَرا

وأنشدني محمد بن عبدالله التيمي ، قال : أنشدني بن السكيت :

قد قلت إذْ ماء صِبَاك يرْعَشُ   وإذ أهاضِيب الشباب تَبْغشُ(١)

فما يكون أن استعار أبو تمام من هذا كله حرفاً فجاء به في صدر بيته ؟ لما قال في آخره : «فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي» قال في أوله : «لا تسقني ماء الملام» .

وقد يحمل العرب اللفظ على اللفظ فيما لا يستوي معناه ، قال الله عز وجل : «وجزاءُ سيِّئةٍ سيِّئةٌ مثلُها»(٢) ، والسيئة الأخيرة ليست بسيئة لأنها مجازاة ، لكنه لما قال : «وجزاء سيئة» قال : «سيئة» فحمل اللفظ على اللفظ .

---

(١) البغش والبغشة : المطر الضعيف .

(٢) الشورى ٤٠ .

وكذلك «ومكرُوا ومكرَ الله»[1] .

وكذلك «فيشِّرهم بعذابٍ أليم»[2] لما قال : بشر هؤلاء بالجنة ، قال : بشر هؤلاء بالعذاب ، والبشارة إنما تكون في الخير لا في الشر ، فحمل اللفظ على اللفظ ، ويقال : إنما قيل لها بشارة : لأنها تبسط الوجه ، فأما الشر والكراهية فإنهما يقبضانه .

وقال الله عز وجل : «واخْفِضْ لهما جَناحَ الذُّلِّ من الرحمة»[3] فهذا أجل استعارة وأحسنها ، وكلام العرب جار عليها ، فما يكون أن قال أبو تمام : «لا تسقني ماء الملام» ؟

وقال العتابي :

أكـاتمُ لـوعـاتِ الهوى ويُـبـينها   تخلل مـاء الشـوق بين جُـفـوني

وقال أبو نواس :

لما نـدبـتُك لـلجزيـل أجبتني   لـبيك ، واستعذبتُ ماء كلامي

فهذا – أعزك الله – ذائد لعذره ، وعنوان للاحتجاج عنه .

ثم قال :

«ولو عرف هؤلاء الناس ما أنكره الناس على الشعراء الحذاق من القدماء والمحدثين لكثر حتى يقل عندهم ما عابوه على أبي تمام إذا اعتقدوا الإنصاف ، ونظروا بعينه .

ومنزلة عائب أبي تمام – وهو رأس في الشعر ، مبتدىء لمذهب سلكه كل محسن بعده ، فلم يبلغه فيه حتى قيل : مذهب الطائي ، وكل حاذق بعده ينسب إليه ، ويقفي أثره – منزلة حقيرة يصان عن ذكرها الذم ، ويرتفع عنها الوهد .

---

(١) آل عمران ٥٤ .
(٢) الانشقاق ٢٤ .
(٣) الإسراء ٢٤ .

وقد كان الشعراء قبل أبي تمام يبدعون في البيت ، والبيتين من القصيدة فيعد ذلك لهم من أجل الإحسان ، وأبو تمام أخذ نفسه ، وسام طبعه أن يبدع في أكثر شعره ، فلعمري لقد فعل وأحسن ، ولو قَصّر في قليل – وما قَصّر – لغرق ذلك في بحور إحسانه ، ومَنْ الكامل في شيء حتى لا يجوز عليه خطأ فيه ، إلا ما يتوهمه من لا عقل له؟».

فالصولي أثبت أن هناك من عابوا بيت أبي تمام ، ولكنه لم يُعيِّنهم ، ثم فند مزاعمهم ، وبين أن استعارته تلك لم تخرج عما ثبت عن العرب ، واستشهد بعدة أبيات من الشعر لمجموعة من الشعراء المجيدين ، حتى لو قصر في شيء – وما قصر – لغفرت زلته ، وغرق ذلك في بحور إحسانه .

* * *

وقد أثارت هذه الاستعارة التي وردت في البيت ثائرة البلاغيين والنقاد بعد الصولي ، وخلفوا لنا ثروة من الآراء البلاغية والنقدية .

فقال الآمدي(١) بعد أن أورد البيت :

«قد عيب ، وليس بعيب عندي ، لأنه لما أراد أن يقول : «قد استعذبت ماء بكائي ، جعل للملام ماء ، ليقابل ماء بماء ، وإن لم يكن للملام ماء على الحقيقة ، كما قال عز وجل : «وجزاء سيِّئة سيئةٌ مثلُها» ، ومعلوم أن الثانية ليست بسيئة ، وإنما هي جزاء على السيئة .

وكذلك : «إنْ تسخَروا منّا فإنا نَسخُر منكم»(٢) ، والفعل الثاني ليس بسخرية ، ومثل هذا في الشعر كثير مستعمل ، فلما كان في مجرى العادة أن يقول قائل : أغلظت لفلان القول ، وجرعته منه كأساً مُرَّة ، وسقيته منه أمر من العلقم ، وكان الملام مما يستعمل فيه التجرع – على الاستعارة – جعل له ماء على الاستعارة ، ومثل هذا كثير موجود» .

وهذا الكلام ترديد لما دافع به الصولي عن أبي تمام .

---

(١) الموازنة جـ١/٢٦١

(٢) هود ٣٨ .

لكن الآمدي رد على الصولي بقية الشواهد – دون أن يذكر اسمه – فقال : « وقد احتج محتج لأبي تمام ، وقال في هذا يقول ذو الرمة :

أداراً بحُزوَى هِجتِ للعين عَبْرَةً ... فماءُ الهوى يـرفَضّ أو يترقـرقُ

وقول آخر :

وكأسٍ سَباها التّجر من أرض بابلٍ ... كرقةِ ماء البَيْن في الأعين النُّجل

وهذا لا يشبه ماء الملام ، لأن « ماء الملام » استعارة ، و« ماء الهوى » ليس باستعارة ، لأن الهوى يُبكى فتلك الدموع هي ماء الهوى على الحقيقة ، وكذلك البين يُبكى ، فتلك الدموع هي ماء البين على الحقيقة .

فإن قيل : فإن أبا تمام أبكاه الملام ، والملام يبكى على الحقيقة ، فتلك الدموع هي ماء الملام على الحقيقة .

قيل : لو أراد أبو تمام ذلك لما قال : « قد استعذبت ماء بكائي » ، لأنه لو بكى من الملام لكان « ماء الملام » هو ماء بكائه على الحقيقة أيضاً ، ولم يكن يستعفى منه » .

فالآمدي أخذ بعضاً من كلام الصولي مؤيداً فيه وجهة أبي تمام في صلاحية الاستعارة وجريانها على ما جرى عليه الأسلوب العربي والقرآن الكريم .

لكنه رفض بعض الأبيات التي ساقها الصولي لتأييد وجهة نظره ، وحمل الآمدي الكلام فيها على الحقيقة ، وليس على الاستعارة كما وجهها الصولي ، وعلى ذلك فاتجاه الآمدي إلى تسويغ هذه الاستعارة وقبولها .

* * *

وأتى ابن سنان (ت ٤٦٦ هـ) فعاب الاستعارة في هذا البيت ، وقد عجب من أبي تمام كيف يصدر منه هذا العُرَر مع أنه كان ينظم الدّرر ؟ ثم رد على الصولي ما قاله شاهدا شاهداً ، فقال : [١]

(١) سر الفصاحة ١٣٠ — ١٣٥ .

«وما زال الناس ينكرون قول أبي تمام : «لا تسقني ماء الملام ...» ، ويحكون الحكاية المعروفة عن سائل سأل أبا تمام أن ينفذ له في إناء شيئاً من ماء الملام ، وربما نسبها بعض الرواة إلى عبد الصمد بن المعذل .

ثم تعرض للرد على مجموعة من أنصار أبي تمام الذين تعرض لهم الآمدي ، ورد عليهم بإعادة كلام الآمدي فقال :

«وقد تصرف أصحاب أبي تمام في التأويل له ، فقال بعضهم : إن أبا تمام أبكاه الملام» ، وهو يبكي على الحقيقة ، فتلك الدموع هي ماء الملام .

وهذا الاعتذار فاسد ، لأن أبا تمام قال : «قد استعذبت ماء بكائي» ، وإذا كان «ماء الملام» هو ماء بكائه ، فكيف يكون مستعفياً منه[1] ، مستعذباً له ؟

ثم روى خلاصة لكلام الصولي – السابق – في دفاعه عن أبي تمام ، ثم علق عليه ، ورد كل دليل ، ودفع كل اعتذار ، وهدم كل حجة ، فقال :

«هذا جملة ما قاله أبو بكر ، وهي غير لائقة بمثله من أهل العلم والشعر ، لأن قولهم : كلام كثير الماء ، وماء الشباب ، وقول يونس بن حبيب في تقديم الأخطل : «إن الأخطل أكثرهم ماء شعر» إنما المراد به : الرونق ، كما يقال : ثوب له ماء ، يقصد بذلك رونقه ، ولا يحسن أن يقال : ما شربت أعذب من ماء هذا الثوب ، كما لا يحمل أن يقال : ما شربت أعذب من ماء هذه القصيدة ، لأن هذا القول مخصوص بحقيقة الماء ، لا بماء هو مستعار له .

وأبو تمام بقوله : «لا تسقني ماء الملام» ذاهب عن هذا الوجه على كل حال ، ثم لا يجوز أن يريد هنا بالماء الرونق ، لأن الملام لا يوصف بذلك ، وإنما يذم ويستقبح ، ولا يحمد ولا يستحسن ، وأبو تمام القائل :

عَذْلاً شبيهاً بالجنون كأنما ... قرأتْ به الوَرهاءُ شطر كتاب[2]

---

(١) «مستعفياً منه» بقوله : «لا تسقني ماء الملام» وعلى هذا يكون متناقضاً في بيته .

(٢) الورهاء : الحمقاء – يعني أنها قرأت شطر كتاب قطع نصفين .

فبهذا وأمثاله ينعت الكلام ، لا الماء الذي هو الرونق والطلاوة ، فقد بان فساد هذا الاعتذار من هذا النحو .

وأما « ماء الصبابة » و « ماء الهوى » فقد بين أبو بكر أنهم يريدون به : الدمع ، فكيف يقول : إنه استعارة ، والدمع ماء حقيقي بلا خلاف ؟ وعلى أي وجه يحمل « ماء الملام » في الاستعارة على « ماء الدمع » وهو حقيقة ؟

واما مقابلة اللفظ باللفظ واستشهاده بالآيات المذكورة – فقد ذكرنا الكلام عليه فيما تقدم[1] ، وبينا أن هذا مجاز ، ولا يقاس عليه ، ولا يحسن منا المقابلة في موضع يعترضنا فيه فساد في المعنى ، أو خلل في اللفظ كهذه الاستعارة ، أو ما يجري مجراها ، كما يحسن ذلك في المجاز إذا أدى ذلك إلى اللبس والإشكال .

ثم نقل كلام الآمدي – السابق في تأييد أبي تمام – وأخذ يرد عليه أقواله ، ويسفه اعتذاراته عن أبي تمام ، فقال :

« وهذا الذي قاله أبو القاسم عن المقابلة قد ذكرناه[2] .

وأما اعتذاره بأن العادة جارية أن يقال : جرعته من القول كأسامرة ، فلما استعمل في الملام التجرع على الاستعارة جعل له ماء على الاستعارة ، فلعمري إن هذا أقرب ما يعتذر به

---

(١) ما قاله ابن سنان فيما تقدم من كتابه هو :

وليس يحسن بنا أن نقابل اللفظ باللفظ في موضع من الكلام قياساً على مقابلة اللفظ باللفظ في قوله تعالى : وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

كما لا يجوز منا أن نحذف المضاف ونقيم المضاف إليه مقامه أبداً اتباعاً لقوله تعالى : « واسأل القرية التي كنا فيها » والمراد أهل القرية ، حتى نقول : ضربت زيداً – ونريد غلام زيد ، والعلة في الجميع واحدة ، وهو أن المجاز لا يقاس عليه ، وإنما يحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه في موضع دون موضع بحسب ما يتفق من فهم المقصود ، وزوال اللبس والإشكال ، وكذلك نقابل بعض الكلام ببعض بحيث لا يعرض فيه فساد من المعنى ، ولا خلل في العبارة ، فإذا اعترضنا في المقابلة مثل هذه الاستعارة لم نجزها ، كما إذا تطرق إلينا في حذف المضاف وجود اللبس لم تركن إليه ولا تعرج عليه .

(٢) يقصد ما ذكر في هامش رقم (١) .

لأبي تمام في هذا البيت ، وأولى من جميع ما ذكرنا ، ما قدمنا من فساد التعلق بذلك ، لكنا قدمنا أن الاستعارة إذا بنيت على استعارة بعدت ، وإن اعتبر فيها القرب فماء الملام ليس بقريب ، وإن لم يعتبر فيها لم ينحصر ، وبنى على كل استعارة استعارة ، وأدى ذلك إلى الاستحالة والفساد .

ثم حكم على البيت فقال : «ليس هذا البيت عندي بمحمود» .

ثم استمر في تقبيح كلام أبي تمام ، فقال :

«ومن أقبح ما يكون في هذا الباب ، قول أبي تمام :

لها بين أبواب الملوك مزامرٌ ... من الذِّكر لم تنفخْ ولا هي تزهر[1]

وقوله :

إلى مِلك في أيْكةٍ المجد لم يَزلْ ... على كِبد المعروف من نَيْله بَردُ[2]

وقوله :

وتقسّم الناسُ السخاء مجزءاً ... وذهبتَ أنتَ برأسه وسَنامه
وتركتَ للناس الإهاب وما بقى ... من فرثه وعروقه وعظامه

فانظر كيف جعل للذكر مزامر لم تنفخ ، وللمعروف كبدا لم تبرد ، ولم يقنع بأن استعار للسخاء رأسا وسناما وإهابا وعظاما وعروقا حتى جعل له فرثاً»

ثم أخذ يتعجب من أبي تمام – بعد أن ذكر مقابح استعاراته – لأنه يأتي بالعجب العجاب ، ويجمع بين كل الاستهجان وكل الاستحسان ، فقال :

«وتعالى الله كيف يَذْهب على من يقول :

أخرجتموه بِكُرهٍ من سجيَّته ... والنار قد تُنْتَضَى من نَاضِرِ السَّلَم[3]

(١) لها : الضمير يعود على «مدحة» في بيت سابق .

(٢) الأيكة : الشجر الملتف ، وأيكة المجد من إضافة المشبه به إلى المشبه ، فجعل للمعروف كبدا ، وجعل فعل الممدوح يبردها .

(٣) السلم : شجر يدبغ به واحدته سلمة .

ويقول :

وإذا أراد الله نَشْـر فضيـلـة طُويتْ أتاح لها لسانُ حسود
لـولا اشـتعالُ النار فيما جاورتْ ما كان يُعرف طِيبُ عَرْفِ العود

لكن أعوز الكمال ، واستولى الخَلل على هذه الطباع ، فالمحمود من كانت سيئاته مغمورة بحسناته ، وكان خطؤه يسيراً في جانب صوابه».

ثم قال ابن سنان معتذراً : (١)

«وقد قدمنا فيما مضى من هذا الكتاب أننا لم نذكر هذه الأبيات الذميمة وغرضنا الطعن على ناظمها ، وإنما قادتنا الحاجة في التمثيل إلى ذكر الجيد والرديء ، والفاسد والصحيح على ما ذكرناه سالفا ، ومعاذ الله أن يخرجنا بغض التقليد وحب النظر من الطرف المذموم من الاتباع والانقياد إلى الجانب الآخر في التسرع إلى نقص الفضلاء ، والتفنيد لما لعله اشتبه على بعض العلماء ، والرغبة في الخلاف لهم ، وإيثار الطعن عليهم ، بل نتوسط إن شاء الله بين هاتين المنزلتين ، فننظر في أقوالهم ، ونتأمل المأثور عنهم ، ونسلط عليهم صافي الذهن ، ونرهف له ماضي الفكر ، فما وجدناه موافقا للبرهان ، وسليما على السّبر ، اعتبرنا بفضيلة السبق فيه ، وأقررنا لهم بحسن النهج لسبيله ، وما خالف ذلك وباينه اجتهدنا في تأويله ، وإقامة المعاذير فيه ، وحملناه على أحسن وجوهه ، وأجمل سبله ، إيجابا لحقهم الذي لا ينكر ، وإذعانا لفضلهم الذي لا يجحد ، وعلما أنهم لم يؤتوا من ضلالة ، ولا كلال ذهن وفطنة ، ولكن لاستمرار هذه القضية في المحدثين ، وعمومها أكثر المخلوقين».

فابن سنان رفض قبول مثل هذه الاستعارة من أبي تمام ، وسفّه رأي الصولي فيها ، ورد على الآمدي في اعتذاره عن أبي تمام ، وفي النهاية أبدى لينا في الحكم على أبي تمام وجعله من أصحاب البدائع إلا أن هذا البيت وأمثاله من شعر لا يقدح فيه ، لأن المحمود من كانت سيئاته مغمورة بحسناته ، وكان خطؤه يسيرا في جانب صوابه .

* * *

---

(١) سر الفصاحة ١٣٥

وجاء ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) فوجد هذه الحكومة القاسية على أبي تمام فخفف الحكم وتوسط فيه ، فقال :[٢]

«عيب على أبي تمام قوله : «لا تسقني ماء الملام ... البيت» ، وقيل : إنه جعل للملام ماء ، وذلك تشبيه بعيد» .

ثم قال ردا على ذلك ملتمساً لأبي تمام العذر :

«وما لهذا التشبيه عندي من بأس ، بل هو من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم ، وهو قريب من وجه بعيد من وجه .

أما سبب قربه فهو أن الملام هو القول الذي يعنف به الملوم لأمر جناه ، وذلك مختص بالسمع ، فنقله أبو تمام إلى السقيا التي هي مختصة بالحلق ، كأنه قال : لا تذقني الملام ، ولو تهيأ له ذلك مع وزن الشعر لكان تشبيهاً حسنا ، لكنه جاء بذكر الماء ، فحط من درجته شيئاً ، ولما كان السمع بتجرع الملام أولا كتجرع الحلق للماء صار كأنه شبيه به ، وهو تشبيه معنى بصورة .

أما سبب بعد هذا التشبيه فهو أن الماء مستلذ ، والملام مستكره ، فحصل بينهما مخالفة من هذا الوجه .

فهذا التشبيه إن بعد من وجه فقد قرب من وجه ، فيغفر هذا لهذا ، ولذلك جعلته من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم .

ثم قال ابن الأثير :

وقد روى – وهي رواية ضعيفة – أن بعض أهل المجانة أرسل إلى أبي تمام قارورة ، وقال : ابعث في هذا شيئاً من ماء الملام ، فأرسل إليه أبو تمام ، وقال : إذا بعثت إليّ ريشة من جناح الذل ، بعثت إليك شيئاً من ماء الملام .

(١) المثل السائر جـ ١٥٥/٢ .

وعقب ابن الأثير على هذه الرواية بقوله :

«وما كان أبو تمام ليذهب عليه الفرق بين هذين التشبيهين ، فإنه ليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام ، فإن الجناح للذل مناسب ، وذاك أن الطائر إذا وهن أو تعب بسط جناحيه وخفضه وألقى نفسه على الأرض ، وللإنسان أيضاً جناح ، فإن يديه جناحاه ، وإذا خضع واستكان طأطأ من رأسه ، وخفض من يديه ، فحسن عند ذلك جعل الجناح للذل ، وصار تشبيهاً مناسباً ، وأما الماء للملام فليس كذلك في مناسبة التشبيه» .

فابن الأثير كما نرى توسط في الحكم ورأى الاستعارة في البيت حسنة من وجه ، بعيدة من وجه ، وعند الإمعان في كلامه نجده أخذ من الصولي والآمدي جانبا ، ومن ابن سنان جانباً آخر ، فهو كما نرى ملفق بين الوجهتين .

* * *

والسكاكي (ت ٦٢٦ هـ) (١) يوصي في الاستعارة «أن يكون الشبه بين المستعار له والمستعار منه جلياً بنفسه ، أو معروفاً سائراً بين الأقوام ، وإلا خرجت الاستعارة عن كونها إستعارة ، ودخلت في باب التعمية والألغاز ، كما إذا قلت : رأيت عودا مسقيا أوان الغرس وأردت إنساناً مؤدباً في صباه ، أو قلت : رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة ، وأردت الناس .

وأما حسن الاستعارة التخييلية فبحسب حسن الاستعارة بالكناية متى كانت تابعة لها ، كما في قولك : فلان بين أنياب المنية ومخالبها ، إذا انضم إليها المشاكلة كما في قوله عز اسمه : «يد الله فوق أيديهم» (٢) كانت أحسن وأحسن ، وقلما تجسن الحسن البليغ غير تابعة لها ، ولذلك استهجنت في قول الطائي :

لا تسقني ماء الملام فإنني ... صب قد استعذبت ماء بكائي

---

(١) مفتاح العلوم ١٨٣ .
(٢) الفتح ١٥ .

فالسكاكي يرى أن الاستعارة التخييلية منفكة عن الاستعارة بالكناية ، ولا تلازم بينهما ، فقد توجد التخييلية دون المكنية مثل : « أظفار المنية الشبيهة بالسبع نشبت بفلان » فالاستعارة في الأظفار فقط من غير الاستعارة بالكناية ، لأنه لا استعارة مع التصريح بالتشبيه ، ومثله قول أبي تمام : « لا تسقِ ماء الملام » فقد تخيل الملام شيئاً شبيهاً بالماء فاستعار له الماء من غير أن يشبه الملام بشيء مكروه له ماء فوجدت التخييلية دون المكنية .

فالسكاكي قبل الاستعارة مع الاعتراف باستهجانها ، لأنه يرى أن الاستعارة التخييلية قد تكون منفكة عن المكنية ، وأبو تمام تخيل أن الملام شيئاً يشبه الماء واستعار له الماء تخييلاً من غير أن يشبه الملام بشيء مكروه يشرب .

* * *

ولاختلاف وجهة النظر بين السكاكي والقزويني (ت ٧٣٩ هـ) في الاستعارة التخييلية ، هل تكون منفكة أو لا تكون ؟ ولأن القزويني يمنع انفكاكها ، قال : [١]

« وأما قول أبي تمام فليس للسكاكي فيه دليل لجواز أن يكون أبو تمام شبه الملام بظرف الشراب لاشتماله على ما يكرهه الملوم ، كما أن الظرف قد يشتمل على ما يكرهه الشارب لبشاعته أو مرارته ، فتكون التخييلية في قوله تابعة للمكني عنها ، أو شبه الملام بالماء نفسه ، لأن اللوم قد يسكن حرارة الغرام ، كما أن الماء يسكن غليل الأوام[٢] فيكون تشبيها على حد « لُجَين الماء »[٣] لا استعارة .

ثم يحكم الخطيب على كلا الوجهين بالقبح ، فيقول :

« والاستهجان على الوجهين ، لأنه كان يجب أن يشبه بظرف شراب مكروه ، أو بشراب

---

(١) انظر « بغية الإيضاح جـ ٣/١٦٣ ، شروح التلخيص جـ ٤/ ٢٠١ ، الإيضاح ٤٥٠ ط لبنان ، فيض الفتاح جـ ٤/ ٢١٧ المطول ٣٩٤ ، مذكرة البلاغة ١١٦ .

(٢) هذه الجملة تفيد وجه الشبه بين الطرفين ، والأوام : حر العطش .

(٣) المراد قول الشاعر : والريح تعبث بالغصون وقد جرى : ذهب الأصيل على لجين الماء .

مكروه ، ولهذا لم يستهجن نحو قولهم : أغلظت لفلان القول ، وجرعته منه سأسامرة ، وسقيته أمر من العلقم »[1] .

فالقزويني يبين أنسب ما يقال في تسويغ مثل هذه الاستعارة ، وذلك بأنه شبه الملام بظرف الشراب ، لأن الظرف قد يشتمل على ما يكرهه الشارب لبشاعته أو مرارته – استعارة بالكناية – ثم أثبت له الماء تخييلا .

أو يكون شبه الملام بالماء نفسه ، لأن اللوم قد يسكن حرارة الغرام ، كما أن الماء قد يطفىء حرارة الأوام ، ثم أضيف المشبه به إلى المشبه ، كما في «لُجَين الماء» ، فيكون تشبيهاً لا استعارة .

وعلى كلا التقديرين فيه استهجان من جهة أنه كان يجب أن يشبه الماء بظرف شراب مكروه على الاحتمال الأول ، أو بشراب مكروه على الاحتمال الآخر ، ولا دلالة في البيت على وصف الكراهة ، بل مفاده أن تشبيه الملام بمطلق شراب ، أو بمطلق ماء .

* * *

لكن القاضي الجلبي يثيره من القزويني تجويز الاستعارة أو التشبيه بناء على الوجه الذي يجمع بين الطرفين وهو :

«لأن اللوم قد يسكن حرارة الغرام ، كما أن الماء يسكن غليل الأوام» .

فينقل صاحب الكشكول (ت ١٠٠٣ هـ) عن القاضي الجلبي اعتراضه ، فيقول :[1] «المناسب للعاشق أن يدعى أن حرارة غرامه لا تسكن لا بالملام ولا بشيء آخر ، فكيف يجعل ذلك وجه شبه ؟

وقد أجاب بعضهم عن نظر الفاضل في كلام صاحب الإيضاح بأن تشبيه الشاعر الملام

(١) لأنه شبه القول فيه بظرف شراب مكروه أو بمشروب مكروه .
(٢) الكشكول ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

بالماء في تسكين نار الغرام إنما هو على وفق معتقد اللوام بأن حرارة غرام العاشق تسكن بورود الملام ، وليس ذلك على وفق معتقده ، فلعل معتقده أن نار الغرام تزيد بالملام ، قال أبو الشيص :

أجِدُ الملامة في هواك لذيذةً حبّاً لذكرك فلْيَلُمْني اللوَّمُ

أو أن تلك النار لا يؤثر فيها الملام أصلا ، كما قال الآخر :

جاءوا يَرُومُون سلواني بلومهم عن الحبيب فراحوا مثل ما جاءوا

فقول الجلبي : لأن المناسب للعاشق .. إلخ غير جيد ، فإن صاحب الإيضاح لم يقل : إن التشبيه معتقد العاشق .

ثم يعلق صاحب الكشكول على هذا بقوله :

« ويقول جامع الكتاب : إن ذكر صاحب الإيضاح الكراهة في الشراب صريح بأنه غير راض بهذا الجواب » ويحمل البيت على محمل آخر ، فيقول :

« وللبيت محمل آخر كنت أظن أني لم أسبق إليه حتى رأيته في « التبيان » وهو أن يكون « ماء الملام » من قبيل المشاكلة لذكر « ماء البكاء » .

ولا تظن أن تأخر ذكر ماء البكاء يمنع المشاكلة ، فإنهم صرحوا في قوله تعالى : « ومنهم مَنْ يمشي على بطنه ، ومنهم مَنْ يمشي على رِجْلَيْن »[1] إن تسمية الزحف على البطن مشياً إنما هو لمشاكلة ما بعده .

وهذا الحمل أولى مما ذكره صاحب الإيضاح ، فإن الوجهين اللذين ذكرهما في غاية البعد ، إذ لا دلالة في البيت على أن الماء مكروه ، كما قاله المحقق التفتازاني في المطول[2] ، والتشبيه لا يتم بدونه .

---

(١) النور ٤٥ .

وأما ما ذكره صاحب المثل السائر من أن وجه الشبه أن الملام قول يعنف به الملوم وهو مختص بالسمع ، فنقله أبو تمام إلى ما يختص بالحلق ، كأنه قال : لا تذقني الملام ، ولما كان السمع يتجرع الملام أولا كتجرع الحلق للماء صار كأنه شبيه به ، فهو وجه في غاية البعد أيضاً ، والعجيب منه أنه جعله قريباً ، وغاب عنه عدم الملاءمة بين الماء والملام » .

وما أيده صاحب الكشكول – مع اعترافه بوجوده في « التبيان » هو أيضاً ما قاله الصولي من قبله بقرون .

* * *

ونقل الشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) عن الثعالبي قوله :[١]

« العرب تستعير في كلامها الماء لكل ما يحسن منظره وموقعه ، ويعظم قدره ومحله ، فتقول : ماء الوجه ، وماء الثياب ، وماء السيف ، وماء الحياة ، وماء النعيم ، كما تستعير « الاستسقاء » في طلب الخير ، قال رؤية :

يا أيها المايحُ دلْوى دُونكا إني رأيت الناس يحمدونكا

لم يستسق ماء ، وإنما استطلق أسيراً ، وسموا المجتدي مستميحاً ، وإنما الميح : جمع الماء في الدلو ، وغاية دعائهم للمرجو والمشكور أن يقولوا : سقاه الله ، فإذا تذكروا أياما سقت لهم ، قالوا : سقى الله تلك الأيام .

ثم يعلق الخفاجي على هذا بقوله :

« ومنه تعلم أنه لما توارثوا استعماله في العظيم المخبر ، والحسن المظهر ، كان استعماله في خلافه مستهجناً ، فلذلك عيب على أبي تمام قوله :

لا تسقني ماء الملام ... البيت

---

(١) طراز المجالس ٥ ، ٦ .

وقال الصاحب : لم تزل البلغاء يستقبحون «ماء الملام» في قول أبي تمام حتى عُزّز بـ«حلواء البنين» في قول المتنبي :

وقد ذُقت حلواءَ البنين على الصِّبا　　فلا تحسبنِّي قلت ما قلت عن جهل [1]

قال ابن بسام : وأقبح من هذا قول ابن شماخ :

ولولا عُلاه عشتُ دهري كلّه　　وَكِيسُ كلامي لا أحل له عقداً

وهذا وأمثاله يعرف بالذوق ، ومثله يستحسنه شعراء العجم ، وتبعهم شعراء الروم ، فلعل مثله يتفاوت بحسب اللغات .

ولا يرد قول المبرد في كامله : مما يستحسن قول أشجع السلمي :

لله سيفٌ في يَدِي نصري　　في حَدِّه ماءُ الرَّدَي يَجْرِي

لأن الردي والهلاك مما يعظم في نفوسهم ، أو لأنه أراد «بماء الردى» : الدم ، أو فرند السيف .

وقد اعتذر لأبي تمام : بأن «ماء الملام» ما يزينه العاذل ، ويكسوه من رونق الحجج مما هو مقبول عنده ، كما قال البحتري :

أما مَسَامعنا الظِّمَاءُ فإنها　　تُروَى بماء كلامك الرقراق

وبنى عليه التهامي قوله :

أذهبت رونق ماء النصح والعذل　　فاربع فلست بمعصوم من الزلل

وهذا لا يخلصه من الاستهجان ، فإن استعارة «ماء الكلام» ليست بهذا لولا قوله : «مسامعنا الظماء» وليس «ماء الكلام» كماء النصح ، كما يدريه من له ذوق .

* * *

---

(١) الحلواء : الحلاوة ، الصبا : الشباب ، على الصبا : صباه أو صباهم .

فهذه هي الوجهات المختلفة لتصحيح بيت أبي تمام ، وقد كانت على شكل خصومات حادة ، ومناقشات حامية ، اتجهوا فيها كل وجهة ، وطرقوا كل حجة ، حتى لم يعد للقوس فيها منزع ، ولم يعد للنقاد بعدهم إلا الرجوع إلى أقوالهم واختيار ما يلائم العصر والزمن ، وهذا ما حدا ببعض النقاد المحدثين أن يقول :[1]

« ونحن نلاحظ أن الآمدي – وإن يكن قد قبل استعارة أبي تمام ، كما أخذ فيما يبدو ببعض حجج الصولي ، يعد أصدق نظر من الصولي ، وأدق نقدا ، فهو يميز بين الاستعارة والحقيقة ، ويدرك أن « ماء الهوى » غير « ماء الملام » ولكننا مع ذلك لا ندري كيف نسي هنا مبدأه الثابت الذي عبر عنه في أكثر من موضع من الموازنة بقوله : « اللغة لا يقاس عليها » ؟ ومع ذلك نراه يجيز « ماء الملام ، قياسا على «كأسامرة من غليظ الكلام» ، وهذا قياس لا ينعقد .

ولو أننا راجعنا الأمثلة التي أوردها الصولي ، وأحصينا استعمالات الماء لوجدناها « ماء الصبابة » و« ماء الهوى » عند ذي الرمة ، ومعناها في بيتي هذا الشاعر هو « الدموع ، فهو استعمال على سبيل الحقيقة » .

ثم « أي ماء لماء وجهك يبقى » والماء الأول معناه : الرونق ، وماء الوجه معناه : الحياء ، كما تقول : أراق ماء وجهه ، وهاتان استعارتان جميلتان .

وأخيراً « ماء الشباب » ومعناه : رونقه وجماله الذي يتميز في أديم الخدين ، كما يقول عمر ابن أبي ربيعة في بيته الرائع ، وكذلك « ماء الصبابة » .

وفي كل هذه الأمثلة نجد أن « الماء » قد استعمل : إما على حقيقة المعنى ليدل على الدموع ، وإما على سبيل الاستعارة ليدل على شيء جميل مثل : « ماء الشباب » و« ماء الصبا » و« ماء الكلام » أي الرونق ، ونحن لا نجد في أي استعمال في هذه استعارة للماء للدلالة على شيء كريه كالملام .

---

(١) النقد المنهجي عند العرب ٧٤ ، ٧٥ .

ونحن نطلب على الأقل ألا يكون هناك تنافر بين الشيء المستعار والشيء المستعار له ، فكيف يعبر عن الشيء المر بالماء العذب حتى لو استعذب أبو تمام «ماء بكائه» ، وأبو تمام لا يتصور من كل ذلك شيئاً ، ولا يحس بشيء ، وإنما هو صنعة باطلة ، ثم كيف يقاس «ماء الملام» بالكأس المرة ، بل كيف يكون للملام ماء ؟

والنقد الصحيح هو أن أبا تمام قد أراد البديع فخرج إلى المحال ، وقد ذكر «ماء البكاء» فكان لا بد له وفاء للبديع ، ورداً للأعجاز على الصدور ، أورد الصدور على الأعجاز من أن يذكر «ماء الملام» ، وهذا سخف يدل على الإسراف ، وصفاقة الذوق من أبي تمام» .

* * *

وهكذا نجد تباين النظر في استعارة أبي تمام في «ماء الملام» ، فمن مستحسن ، ومن مستقبح ، ومن واقف بين هذا وذاك ، ولكل فريق وجهة ولكل جماعة حجة ونظر .

وما كان أغنى أبو تمام عن الوقوع في هذا الخطأ - بل الخطيئة - التي جعلته مضغة في الأفواه ، وكان فيها بين شقي الرحى الرحيم فيها قاس ، والرؤوف فيها غليظ .

ولو استبدل بالكلمة غيرها فقال : لا تذقني ماء الملام لأراح واستراح ، ولقبلها البلاغيون والنقاد وهم في كامل الرضى وتمام القبول ، ولكنه كان حريصاً على ألا يتناول إنتاجه بالتعديل والتبديل ، ويجب أن يظل كما هو ، ويراه - وهو كذلك - يمثل فترة زمنية من حياته العقلية والفكرية .

يدل على ذلك ما يرويه محمد بن يعقوب الواسطي - المسمى بمثقال يقول :

«دخلت على أبي تمام وقد عمل شعرا لم أسمع أحسن منه ، وفي الأبيات بيت واحد ليس كسائرها ، وعلم أني قد وقفت على البيت ، فقلت له : لو أسقطت هذا البيت ، فضحك وقال : أتراك أعلم بهذا مني ؟ إنما مثل هذا مثل رجل له بنون جماعة كلهم أديب جميل متقدم ، فيهم واحد قبيح متخلف ، فهو يعرف أمره ، ويرى مكانه ، ولا يشتهي أن يموت ،

ولهذه العلة وقع مثل هذا في أشعار الناس»[1] .

ولو غيرّ كما تمنينا لما كانت تلك المناقشات العلمية والفكرية ، وصدق قول الشاعر :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

* * *

— ٢ —

رقيقُ حَواشِي الحلْم لوْ أنّ حلمَه بكَفَّيكَ ، مَا مَارَيْتَ في أنه بُرْدُ
وذُو سوْرةٍ تَفْري الفَرِيّ شبَاتُها ولا يقطعُ الصمصامُ ليس له حَدّ[2]

* * *

قال الآمدي[3] : أنكر أبو العباس[4] قول أبي تمام :

رقيق حواشي الحلم ... البيت

وقال : «هذا هو الذي أضحك الناس منذ سمعوه إلى هذا الوقت ، ولم يزد على هذا شيئاً» .

ثم قال الآمدي :

«والخطأ في هذا البيت ظاهر ، لأني ما علمت أحد من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة ، وإنما يوصف الحلم بالعظم ، والثقل ، والرزانة ، ونحو ذلك ، كما قال النابغة :

وأعظم أحلاماً وأكثر سيداً وأفضل مشفوعاً إليه وشافعاً

(١) أخبار أبي تمام ١١٤ .

(٢) المعنى : هو حسن الأخلاق واسع الحلم ومع ذلك فله شدة على أعدائه - تفري الفرى ، يأتي بالعجب في ضبط الأمور ، شباتها : حدها .

(٣) الموازنة حـ ١/ ١٣٨ - ١٤٢ .

(٤) هو أحمد بن عبدالله بن عمار القطربلي (ت ٣١٩هـ) ، وكان من الذين تعقبوا أبا تمام في بديعه وعابوه في صنعته ، ولما جاء الآمدي ألف كتاباً رد فيه على أبي العباس وسماه : «الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام» ولكن هذا الكتاب فقد . ويبدو أنه ظل موجودا حتى عصر ابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) لأنه نقل منه كلام الآمدي .

وكما قال الأخطل :

شُمْسُ العَداوة حتى يُستَقَاد لهم   وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قَدروا

وقال الفرزدق :

أحلامُنا تزنُ الجبال رزانة   وتخالنا جِنّاً إذا ما تجهلُ

وسرد الآمدي عدة أبيات أخرى لعدي بن الرقاع ، وأبي ذؤيب ، وغيرهما ، ليثبت أن الحليم يوصف بالرزانة والثقل ، ثم عقب ذلك بقوله :

« ومثل هذا كثير في أشعارهم ، ألا ترى أنهم إذا ذموا الحلم كيف يصفونه بالخفة ، فيقولون : خفيف الحلم ، وقد خف حلمه ، وقال عياض بن كثير الضبي :

تنابلةٍ سودٍ خفافٍ حلومهمْ   ذوي سَرِب في الحي يغدو ويطْرُقُ[(١)]

وقال عتيبة بن هبيرة الأسدي :

أبنو المغيرة مثلُ آلِ خُويلد ؟   يا لَلرِّجال لِخفّة الأحلامُ

وقال قيس بن عمير الكناني :

كمثل الحصي بكْرٌ ، ولكنْ خيانةٌ   وغدرٌ وأحلامٌ خفافٌ عوازبُ

ثم يذكر الآمدي أبياتاً أخرى لشعراء آخرين ، ويعقب على ذلك بقوله : « فهذه طريقة وصفهم بالحلم ، وإنما مدحوه بالثقل والرزانة ، وذموه بالطيش والخفة » .

« وأيضاً فإن البرد لا يوصف بالرقة ، وإنما يوصف بالمتانة والصفاقة ، وأكثر ما يكون ألواناً مختلفة ، كما قال يزيد بن الطثرية :

أشاقتكَ أطلالُ الديار كأنها   معارفُها بالأبْرَقَيْن برودُ

---

(١) تنابلة : واحدها تنبال ، وهو القصير ، ومثله التنبيل ، السرب : الذاهب على وجهه في الأرض .

والأبرق والبراق من الأرض : ما كان فيه حجارة ورمل ، فقيل : «برقاء» ، لاختلاف الألوان فيها ، ومن ذلك الجبل الأبرق الذي فتل من قوى مختلفة الألوان ، فلذلك شبه الشاعر معارف الديار بالبرود ، لاختلاف ألوان البرود .

ولولا أنه قال : «رقيق حواشي الحلم» لظننت أنه ما شبه البرد إلا لمتانته ، وهذا عندي من أفحش الخطأ .

ثم قوله : «لو أن حلمه يكفيك» كلام في غاية القبح والسخافة ، وأظن أبا العباس بن عمار إنما أنكر هذه اللفظة فقط .

وإني لأعجب من اتباع البحتري إياه في البرد مع شدة تجنبه الأشياء المنكرة عليه حيث يقول :

وليالٍ كُسِين من رقّة الصيف م/ فخيّلْنَ أنّهن بُرودُ

وكيف لم يجد شيئاً يجعله مثلا في الرقة غير البرد ؟ ولكن الجيد في وصف الحلم قوله متبعاً للمذهب الصحيح المعروف :

خَفّتْ إلى السؤدد المجفُوّ نهضتُه ولو يُوازن رَضْوَى حلمُه رجَحا

ثم أراد الآمدي أن يعتذر لأبي تمام بعد هذا النقد المر ، فقال :
«وأبو تمام لا يجهل هذا من أوصاف الحلم ، ويعلم أن الشعراء إليه يقصدون ، وإياه يعتمدون ، ولعله قد أورد مثله ، ولكنه يريد أن يبتدع فيقع في الخطأ» .

فهذا نقد الآمدي لبيت أبي تمام ، وهو نقد يقوم على معرفة خصائص ألفاظ اللغة العربية ، ودقائق استعمالاتها ، وعلم تام بكيفية نقل اللفظة من معناها الحقيقي إلى معنى آخر مجازي .

وقد عاب الآمدي البيت من ثلاث جهات :

١ — وصف الحلم بالرقة ، وهو إنما يوصف بالرزانة والثقل ، فقد أنكر أن يستعير أبو تمام «الرقة» للفظ «الحلم» .

٢ ـــ وصف البرد بالرقة ، وإنما يوصف بالصفاقة .

٣ ـــ إمساك الحلم بالكفين ، وقد وصف هذا بأنه تعبير في غاية القبح والسخافة ، ثم ادعى أن أبا العباس بن عمار إنما أنكر في هذا البيت هذه اللفظة فقط .

* * *

وقد عد أبو هلال العسكري[1] (ت ٣٩٥هـ) هذا البيت من أغلاط أبي تمام ، وتناوله كما تناوله الآمدي ، وهو متأثر به ، وكذلك فعل ابن سنان[2] .

ونقل ابن المستوفي (ت ٦٣٧ هـ) عن المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) ما يؤيد استعمال أبي تمام ، فقال :[3] «يقال فلان رقيق اللؤم ، ورقيق الشر ، وقد قال أبو تمام يصف الشيب :

رِقـةٌ في الحيـاة تُدعَى جَلالاً مـثلما يُدعى اللديغُ سليماً

ولما كان الوصاف يكنون عن أصل الإنسان وجوهره بالثوب ، حتى قالوا في الأصلين يتفقان : رقعتهما واحدة ، وهما من ثوب واحد ، وتوسع بعد ذلك فقيل : جوهر فلان رقيق الحاشية ، وعلى هذا قول أبي تمام :

* رَقَّت حـواشي الـدهـر فهـي تُـمـرمـرُ *

ويقال : طاب الهواء ، ورق النسيم ، وإذا كان الأمر على هذا صح أن يوصف البرد الكريم بالرقة ، وإذا صح ذلك سلم قول أبي تمام من طعن الطاعن .

ويشهد له قول آخر :

إذا الـنفرُ البيضُ اليمانون نمنموا له حول بُردَيْه أرَقُّوا وأوسعوا[4]

---

(١) الصناعتين ٨٩ .

(٢) سر الفصاحة ٢٥٥ .

(٣) النظام ورقة ٦٩٨ مجلد/٢ ، هامش شرح التبريزي جـ٨٨/٢ .

(٤) نمنم الشيء : رقشه وزخرفه .

وإنما كان كذلك لأن لفظ «الرقة» منقول عن موضعه هاهنا ، كما يقال : فلان رقيق القلب ، ألا ترى أنه يريد الرحمة ، كما ان ضِدّه وهو الغلظ يستعمل في معنى الفظاظة والقسوة ، ونقل عن بابه ، وعلى هذا جاء قوله تعالى : «ولو كْنتَ فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك»[٤] ، وإذا ثبت جميع ذلك فإقامة أبي تمام «الرقة» مقام «اللطف» ليس بمستنكر ولا بديع .

وقال ابن المستوفي :

ونقلت من كتاب «المسائل والأجوبة» وهو يتضمن جواب مسائل سئل عنها الحافظ أبو عبدالله محمد بن السيد البطليوسي :

مسألة : سئل الشيخ – رضى الله عنه – عن معنى قول أبي تمام :

رقيق حواشي الحلم ... البيت

فقال : أنكر أبو العباس القطربلي هذا البيت ، وقال : هذا الذي أضحك الناس منذ سمعوه إلى هذا الوقت ، ثم روى كلام الآمدي السابق في نقده للبيت .

قال البطليوسي : وهذا الذي اعترض به القطربلي والآمدي لا يلزم حبيبا ، وإنما كان يتوجه عليه ما قالاه ، لو قال : خفيف الحلم ، أو رقيق الحلم ، فأطلق الرقة على حلمه أجمع ، وإنما أراد أنه يترك الجد إلى الهزل في بعض الأوقات ، والوقار إلى الانسباط ، ولذلك تحفظ بأن جعل الرقة لحواشي الحلم خاصة ، وإذا لم تكن الرقة إلا لحواشيه فمعظمه كثيف ، وقد ذكر هذا فقال :

لا طائشٌ تهفو خلائقه ولا   خشنُ الوقار كأنه في محفل

فنفى عن وقاره الخشانة ، وأوجب له الرقة .

---

(١) آل عمران ١٥٩ .

وقال في موضع آخر :

الِجدُّ شيمتُه وفيه فُكاهة سمحٌ ، ولا جدّ لمن لا يلعبُ

ثم قال ابن المستوفي بعقب هذا :

« هذا الذي ذكره الحافظ بن السيد قول حسن إلا أنه لا يثبت على السَّبر ، إذ قد أطلق أبو تمام فقال : « ما ماريت في أنه برد » فأطلق الرقة على حلمه أجمع ، وفي قوله : « رقيق حواشي الحلم » دلالة على زيادة رقة سائره ، لأن العادة أن تكون حاشية البرد في الأغلب أغلظ من جميعه .

وقوله : « وإذا لم تكن الرقة إلا لحواشيه فمعظمه كثيف » قول غير مرضى ، إذ لو قال : فسائره – يعني ما فيه – كان أحسن عبارة .

والذي أراه – والله أعلم – أنه أراد أن حلمه لا يشاركه تعنيف ولا تثريب ، فيرق للطفه وتركه التقريع بالذنب ، وإذا حلم الحليم وذكر ذنوب الذي حلم عنه فهو مذموم الحلم ، ويكون حلمه كريهاً ، فلهذا قال أبو تمام : رقيق حواشي الحلم » على الاستعارة ، ونحوه قوله تعالى : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم »[1] قال أبو اسحق ابراهيم بن السري الزجاج : « لا تثريب عليكم » ، أي لا فساد عليكم ، وهو معنى ما ذكرته – أي لا يفسد حلمه بالتأنيب والتقريع .

وأخيراً قال ابن المستوفي :

« وجدت في كتاب « الخط والقلم » تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، قال : كان هارون معجباً بخط إسماعيل بن صبيح ، فقال لأعرابي : صفه ، فقال : ما رأيت أطيش من قلمه ، ولا أثبت من حلمه ، فقال : اجعل نثرك نظما ، فقال :

رقيق حواشي الحلم حين تثوره يُرِيكَ الـهُوَيْنى والأمور تطير

(١) يوسف ٩٢ .

يـناجيك عما في ضميرك لحظة ويـفـتـح نجح الأمـر وهو عسير
لـه قَلَما يُـؤْسى ونُـعْـمى كلاهما سـحـابـتـه لـلـحـالـيين درور

ومن هذا نقل أبو تمام قوله : «رقيق حواشي الحلم» وزاد عليه بما لم يمنع العائب له أن يتعقبه بما تعقب به ، ولا شبهة في أن أبا تمام أخذ نفسه باستعمال البديع ، وأكثر منه ، فجاء بالنادر والمستكره ، وهذا معلوم من مذاهبه في أشعاره» .

فابن المستوفي يرى أنه لا بأس من استعمال أبي تمام ، ويوجهه أكثر من جهة ، وكلها يمكن أن يحمل الكلام عليها بلا عيب يلحقه ، أو خطأ يدركه .

* * *

ومن النقاد المحدثين من أعجبه تحضر أبي تمام في لغته ، ويرى في استعماله ذلك بعدا عن بداوة الأعراب ، وجفاوة الجاهلية ، فقال : [1]

«حينما قال أبو تمام :

رقيق حواشي الحلم .... البيت

قال الباحثون : هذا مناقض لقول القدماء كالفرزدق :

أحلامـنـا تَـزِنُ الجبـال رزانـةً وتخالُـنـا جِـنَّـا إذا ما نجهـلُ

حقاً إن هناك قدراً من التفاوت الملحوظ ، ولكن من الصحيح أيضاً أن البرد يختلط في الشعر بالجبل ، قال امرؤ القيس :

* كبيرُ أنـاسٍ فـي بجـادٍ مُـزَمَّلِ * [2]

وأبو تمام انتفع بالعلاقة القديمة بين البرد والجبل ، قرأها فوعاها .. فالعلاقة بين البرد والجبل كامنة في الشعر .

(١) نظرية المعنى في النقد الأدبي ١١٠ .
(٢) وصدر البيت : كان ثبيراً في عرانين وبله – وثبير : اسم جبل ، والعرانين : مستعار لأوائل المطر ، الوبل : المطر .

وهذا الرجل المتحضر في العصر العباسي – مع ذلك – كان يتصور السلوك تصوراً مختلفاً – إلى حد ما – عن التصور العربي القديم .

ولكن حينما نتأمل الحواشي السابغة الوافية الجميلة الغالية الثمن القوية الإحتمال نعود فنذكر صورة الجبل في شعر امرىء القيس ، لقد أعطى أبو تمام بسمة الرجل المتحضر التي يعجز عنها البدوي أحياناً ، ولكن هذه البسمة التي تعبر عن الفهم المصحوب بالتعاطف ليست غريبة تماماً على صورة امرىء القيس فقد يكون الحلم مخيفاً – في جوهره – كالجبل ، وقد يكون على عكس ذلك مشبعاً بالسلام كالبرد ، ولكن أبا تمام قد أومأ بمثل هذا التفكير إلى ما بذله الشعراء من قبل من أجل تهذيب الشعور برمز الجبل» .

* * *

وخاتمة المطاف في هذا البيت هو قول الدكتور طه حسين حيث لم ير مانعاً من قبول تلك الاستعارة ، لأن الحلم في بغداد ، وفي القرن الثالث للهجرة غير الحلم في البصرة في القرن الأول للهجرة ، ثم يزيد الفكرة السابقة وضوحاً ، فيقول : [1] «فمن الأبيات التي أنكرت على أبي تمام :

رقيق حواشي الحلم ... البيت

هذا البيت لم يفهمه المتقدمون ، لأنهم لم يألفوا هذه الصورة ، صورة الحلم بالكفين وتشبيهه بالبرد ، وإنما كانوا يشبهون الحلم بالجبال في مثل هذا البيت :

أحلامنا تزن الجبال رزانة   وتخالنا جنا إذا ما نجهل

فالرجل الحليم هو الثقيل ، فأما هذا الحلم الذي يوصف بأنه رقيق الحاشية فهذا شيء لم تعرفه العرب ، ومن المحقق أن هذا البيت قد أضحك الناس منذ سمعوه إلى اليوم بهذه الصورة الغريبة ، وهي الحلم في الكفين ، وكيف يكون الحلم في الكفين ؟

---

(١) من حديث النثر والشعر ١٠٣ .

ولكن هؤلاء النقاد لم يقدروا الفرق البعيد جداً بين عقلية أبي تمام وعقلية الشعراء المتقدمين ، والذين قلدوهم من المحدثين ، والذين شبهوا الحلم بالجبال ، فأبو تمام رجل حضري ، وهو إذا مدح فإنما مدح الوزراء والكتاب والخلفاء المترفين ، وهو إذا وصف الخلفاء بالتأني والرزانة لم يستحسن منه أن يجعل لهم رزانة هؤلاء الأعراب التي تزن الجبال ، لم يكن أحدهم يحب أن يوصف بضخامة الرأس ، وثقل السمع ، كما كان يستحسن من قيس بن عاصم ، أو من معاوية بن أبي سفيان ، وإنما كان العصر عصرا آخر ، وكان لأهله حضارة هي على أقل تقدير شديدة الابتسام من الناحية المادية ، حضارة أرستقراطية مترفة ، وهي الحضارة التي تخلب بكثرة ما فيها من اليسر والابتسام .

فالرجل الحليم إذن ليس هو الرجل الوقور الثقيل الذي يشبه الجبل ، وإنما هو الرجل الذي يلقي كبار الحوادث مبتسماً ، والذي إذا تحدث إليك عنها أعجبك حديثه رقة وظرفا ، على فداحة الحوادث ، وتكاثف الخطوب ، هو هذا الرجل المترف المتدين – إن صح هذا التعبير – وإذن فالحلم في بغداد وفي القرن الثالث للهجرة غير الحلم في البصرة في القرن الأول للهجرة ، فليس غريباً أن يكون حلم المتحضرين في بغداد رقيق الحواشي .

أما « لو أن حلمه بكَفَّيك » فهذا غريب ، ولكن أيّ قيمة للشاعر المبتكر إذا لم يستطع أن يخترع لك من الصور ما يبهرك ويضطرك إلى أن تعجب بهذه الصورة الجديدة ؟

والشاعر المجيد حقاً يمتاز من غير المجيد بأنه إذا تحدث إليك لم يمكنك أن تسير معه كما تسير مع نفسك ، وإنما يضطرك أن تفكر وأن تجهد نفسك في أن تفهمه ، وتحسه ، وتشعر معه .

فأبو تمام هو هذا الشاعر الذي يأتيك بأشياء لا تكاد تسمعها حتى تأخذك الدهشة ، وإذا أنت قد خرجت عن طورك ، واضطررت إلى أن تفكر مع الشاعر ، وإلى أين تسير معه ، فإذا هو يسرك حيناً ، ويحزنك حيناً آخر» .

ومن المحقق أن أبا تمام كان في جوانب كثيرة من هذه الصور الغريبة يحاول أن يجدد ، وأن يلائم بين العصر وأفكار الشعر ، وكان يحاول أن يبتكر في الصورة ، وأن يغرب فيها ، فالحضارة

العباسية ، والرقي العقلي الذي أصاب الشاعر العباسي كان جديراً بأن يستوعب هذه الصورة الغريبة ، نجد ذلك عند مسلم ، وابن الرومي ، ولكن لم يغربا إغراب أبي تمام ولم يتعمقا تعمقه ، حتى خيل للقارىء أن شعره نوع من لوحات الرسامين ، يعتني فيه بالتصوير ، وجمع كل نادر وطريف .

وهكذا نجد تفاوت النظر بين القدماء والمحدثين في تقدير استعارة أبي تمام ، وكل منهما ينظر إليها من زاوية ، فالقدماء يتمسكون بعمود الشعر ، والمحدثون يتحللون منه بعض التحلل ، ويلاحظون تحضر الشعر والشعراء ، وتخالف الأذواق في عصر أبي تمام من العصور الأولى ، وهم بذلك ينحون منحى الرمزية في الأدب العربي ، ويفضلون مذهب الغموض والإبهام الذي يرى المتعة والجمال في الصور والتعبيرات الضبابية والابتذال والهوان في الوضوح ، وفي تسليط الأضواء على الحقيقة .

* * *

المـراجع

أ ــ المخطوطات

١ ــ النظام — لابن المستوفي موجود بدار الكتب المصرية.

ب ــ المطبوعات

٢ ــ أسرار البلاغة — لعبد القاهر الجرجاني ط المنار

٣ ــ أخبار أبي تمام — للصولي

٤ ــ الإيضاح — للقزويني شرح د/محمد خفاجي ط لبنان

٥ ــ بغية الإيضاح — للشيخ عبد المتعال الصعيدي

٦ ــ البيان في ضوء أساليب القرآن — للدكتور عبد الفتاح لاشين ط دار المعارف.

٧ ــ ديوان أبي تمام — شرح التبريزي

٨ ــ سر الفصاحة — لابن سنان الخفاجي تحقيق الشيخ عبد المتعال الصعيدي

٩ ــ شروح التلخيص

١٠ ــ الصناعتين — لأبي هلال العسكري ط استامبول.

١١ ــ طراز المجالس — للشهاب الخفاجي

١٢ ــ الفهرست — لابن النديم

١٣ ــ فيض الفتاح — للشيخ الشربيني

١٤ ــ قصص العرب — للبجاوي

١٥ ــ الكشكول — للعاملي

١٦ ــ مقدمة شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام

١٧ ــ المطول للتفتازاني

١٨ ــ مذكرة البلاغة للشيخ حامد عوني

١٩ ــ مفتاح العلوم للسكاكي

٢٠ ــ من حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين

٢١ ــ المثل السائر لابن الأثير تحقيق د/ الحوفي ، د/طبانة .

٢٢ ــ الموازنة للآمدي تحقيق السيد صقر ط دار المعارف .

٢٣ ــ نزهة الألباء لابن الأنباري

٢٤ ــ نظرية المعنى في النقد العربي للدكتور مصطفى ناصف

٢٥ ــ النقد المنهجي للدكتور محمد متدور

٢٦ ــ الوساطة للقاضي الجرجاني تحقيق د/ خفاجه .